

حول البلاغ الصادر عن الاجتماع الاعتيادي للجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي

مناقشة هادئة في قضية وطنية ساخنة

د. محمد جواد فارس

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في الثاني من أيلول/ سبتمبر 2005, اجتماعاً "اعتيادياً" لمناقشة ما سمّاه البيان الأوضاع الراهنة . في بداية الاجتماع وقف المجتمعون دقيقة صمت حدادا" على أرواح ضحايا جسر الأئمة؛ وبالطبع فقد كان من المفترض أن يقف المجتمعون دقيقة صمت حدادا" على أرواح كل ضحايا الاحتلال الأمريكي -الصهيوني- البريطاني المتواصل منذ أكثر من عامين.

كما توقف الاجتماع عند استحقاق عقد المؤتمر الثامن للحزب . وفي هذه المناسبة؛ فإن المرء مهما كان خلافه أو اعتراضه على سياسة الحزب ومواقف قيادته المخزية، سيتمنى من المخلصين ممن لا يزالون في الحزب إن يقولوا كلمتهم في تقييم سياسته وتحالفه مع الاحتلال، و من مجيئ سكرتيره مجلس الحكم بقيادة الحاكم الأمريكي بول بريمر كممثل مكمل للمحاصصة الطائفية عن الشيعة (المقعد الرابع عشر). والجميع يعرف جيدا مدى تأثير قيادة الحركة الكردية على قيادة الحزب التي جرت به إلى منزلقات خطيرة منها اتخاذ هذا الموقف غير المشرف، وهو سابقة خطيرة في تاريخ الحركة الشيوعية على المستويين العربي و العالمي، إذ لم يسجل التاريخ المعاصر قط مثل هذه الظاهرة .

ومن خلال قراءة دقيقة للبلاغ سيتضح للقاري اللبيب إن من شارك في صياغته هم أعضاء معهد المجتمع المفتوح وهو معهد أمريكي يوظف بعض اليساريين العراقيين السابقين وعلى وجه التحديد من هم أعضاء وكادرات الحزب الشيوعي العراقي وعلى سبيل المثال لا الحصر الاقتصادي عصام الخفاجي، ويدير هذا المعهد رجل الأعمال الأمريكي جورج سورس ، الذي يملك نسبة 37% من كل العقود التي تزيد قيمة كل منها على خمسة ملايين دولار لم تكن تطرح في أي مناقصة للتنافس. وهؤلاء جهزوا أنفسهم وكرسوا ثقافتهم لممارسة الدعاية لصالح العدوان ومن ثم روجوا لاحتلال الوطن ، وقد سطوروا في هذا الإطار مقالاتهم وسال مداد أقلامهم في صحف تدّعي الماركسية مثل "طريق الشعب" وصحيفة "المدى"؛ وهذه صحف

تسمي المقاومة إرهاباً، متجاهلة عن قصد أن الماركسية كما هي القوانين والشرائع الإنسانية أقرت حق الشعوب في المقاومة المشروعة للاحتلال، وقد رفعت الأحزاب الشيوعية في أوروبا في الحرب العالمية الثانية شعار الدفاع عن الوطن (الوطن الأم يناديكم). لقد كان الشيوعيون سباقين في هذه المهمة الوطنية الخلاقة ومنهم الشيوعيين الفرنسيين و الطليان و الأسبان وغيرهم.

لقد ناقش البلاغ الوضع السياسي وتوقف عند ما أسماه الانفلات الأمني وتدهور الخدمات والأوضاع الاقتصادية واستشراء الفساد. ومن المعروف إن المشروع الأمريكي – الصهيوني جاء لتحطيم الدولة العراقية بكل مؤسساتها وأجهزتها، وقد وضح الأمر منذ الأيام الأولى لاحتلال بغداد حيث الفرهود الذي شمل كل نواحي الحياة بما فيها المتحف العراقي، إضافة إلى مؤسسات الدولة وهذه الحالة تمت على مرأى و مسمع من القوات الغازية والأدلاء من (الأشقاء) العرب في بلدان الجوار.

ويستطرد البلاغ متحدثاً عن تشكيل الحكومة بعد ماسمي بانتخابات كانون الثاني / يناير 2005 ليوجه نقداً "خجولاً" لتشكيلها من القائمتين (الفائزتين) ولم يتمكن الحزب في هذه الانتخابات كما هو معلوم من الفوز سوى بمقعدين في الجمعية الوطنية بينما أصبح الحكومة. وهذا دافع أساسي من دوافع نقد الحكومة وليس لأسباب مبدئية أو لدوافع تمس الموقف الوطني. إن هذه الحكومة من وجهة نظر قيادة الحزب غير موفقة في توفير الأمن و الاستقرار، وهنا لا بد من العوده إلى تصريح السيد حميد مجيد موسى أمين عام الحزب في حوار مع جريدة المدى عندما أشار إن الحكومة الحالية أخفقت في تحقيق أي تقدم في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، بسبب اعتمادها-منذ تشكيلها-على المحاصصة السياسية-الطائفية و العرقية مما عزز إخفاقاتها بانتشار وتفاقم الفساد الإداري والكلام للسيد حميد مجيد. وهنا من حقنا إن نتساءل ألسنت أنت من وافق على أن يكون عضواً في حكومة برمير - الحاكم المدني للبلد الذي ولد فيه يوسف سلمان يوسف (فهد) و حسين الشبيبي وزكي بسيم وسلام عادل وجمال الحيدري وغيرهم من الشيوعيين، ممن وهبوا أرواحهم من أجل الوطن من أجل العراق العظيم. لقد قبلت أن تكون ممثلاً للشيعه و أنت كما يحلو للبعض تسميتك بالأمين العام.

واللافت للانتباه أن البلاغ لا يقيم أي تمييز بين المقاومة والإرهاب، كما نسي أي ذكر للمقاومة الوطنية الباسلة والتي هي ليست فقط موضع اعتزاز الشرفاء العراقيين بل كل التقدميين في العالم من كاسترو حتى هوغو شافيز مرورا "بجورج غلوي و آخرين.

لقد علمنا الفكر الماركسي – اللينيني إن الشعب الذي يزرع تحت نير الاحتلال الإمبريالي ليس له الحق فقط في مقاومة الاحتلال وحسب؛ بل هو الواجب المقدس عينه من أجل طرد الاحتلال والاستقلال وإقامة نظام الحكم الذي يرتأيه الشعب أما الإرهاب فهو إرهاب الدولة الأمريكية، حيثوا أقدمت على غزو العراق ونهب ثرواته وتحطيم مؤسساتها وألان تقوم بعمليات إرهابية الغرض منها إثارة النعرات الطائفية بين الشيعة والسنة وتأجيج الحرب الطائفية والتي فشلوا في إنكاء نارها.

علماء بان شعبنا لم تنطل عليها اللعبة بل هو يعرف جيدا كما يعرف الشيوعيين الوطنيين إن من يقوم بالأعمال الإرهابية التي تستهدف المدنيين الأمنيين هم : المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية والإيرانية ومليشيات بدر و الدعوة و المليشيات الكردية. كما دلت الوقائع مثل إحداث البصرة (الجنديان البريطانيان) إضافة لعمليات أخرى عندما جرى تفخيخ سيارات عائدة إلى مواطنين دون علمهم فكانوا هم وآخرين ضحايا أبرياء. وهنا لا بد من التذكير (الرفاق) حول الخراب والدمار الذي شمل كل المدن العراقية وعلى سبيل المثال لا الحصر تلغفر والقائم والفوجة وهيت وعانة. ألا يذكركم هذا بالمدن البطلة كستالينغراد و لينينغراد وبراغ وغيرها من المدن التي تضررت على يد النازية الألمانية في الحرب العالمية الثانية (ماهتزت شواربكم)؟

ويستطرد التقرير حول تردي الخدمات وآفة البطالة والفساد الإداري والمالي متحدثا عن الكفاءات العلمية والعملية والشفافية والديمقراطية وغيرها من المصطلحات التي جاء بها (الرفيق) برمير. ناسين أو متناسين إن من يحكم العراق اليوم هم أصحاب العمائم والروزخونات والخواتم الفيروزية الذين جعلوا من العراق حسينية كبيرة ليس فيه سوى (أصحاب المحابس) الذين أصبحوا مدراء عامين ورؤساء مؤسسات وأعل حل وربط. (كرت عينك حميد)

أما بالنسبة لمسودة الدستور والتي قيمها البلاغ ايجابيا في إطارها العام ،مؤكدًا في الوقت نفسه على تحفظ الحزب على العديد من فقراتها وموادها، فإن من الواضح أن اللغة هي نوع من لعب على وتر المحاباة للأكراد أولا ومن ثم لحلفائهم القدامى و الجدد. إن هذا الدستور هو دستور تفتيت وحدة العراق ويشم من خلاله رائحة الطائفية التي تزكم الأنوف. أنسيتم كم ناضل شعبنا بعد ثورة الرابع عشر من تموز 1958 من اجل إن يخرج قانون الأحوال الشخصية والذي يساوي بين المرأة و الرجل وهذا القانون لا يروق لأهل العمائم و أصحاب فتوى (الشيوعية كفر و الحاد) . وهنا من الممكن أن نتساءل كيف يُسن دستور لبلد وهو يرزح تحت الاحتلال وكما قال مرة جورج بوش لو كان وطني محتلا "لقاومت. والمقاومة هما تعني المسلحة. فهل أصبح بوش الإمبريالي أكثر تقدمية من حميد موسى الشيوعي؟

إن القيادة الحالية للحزب تجره إلى اتخاذ مواقف يشمئز منها الشيوعيون الوطنيون وهنا لا بد من ذكر موقفهم المناق الموضح في شعارهم في شارع المتنبي (الحزب الشيوعي العراقي يعزي الإمام المهدي المنتظر في استشهاد الحسين (ع) مع الاعتزاز بمبادئ الحسين بالدفاع عن الوطن والمبادئ. هل كل هذا هو محاباة لمن طردكم - قبل سنوات- من اجتماع المعارضة في فندق سميرا ميس في دمشق؟ حتى إن حلفاءكم الأكراد تخلوا عنكم وخرج أمين عام الحزب ولبيد عباوي والذي يشغل الآن منصب وكيل هوشيار الزبياري للعلاقات السياسية، وهما يجران أذيال الخيبة والعار.

إما قراءتكم الخاطئة لمؤتمر بيروت فهنا أود أن أشير وأنا كنت من بين المشاركين في هذا المؤتمر بدعوى كريمة من الشخصية الوطنية والقومية د. خير الدين حسيب رئيس مركز دراسات الوحدة العربية حيث أقام المركز ندوة حول (مستقبل العراق)

أعدت فيها وثائق مهمة تخص مرحلة ما بعد خروج المحتل (دستور وطني لعراق موحد وديمقراطي، وحل القضية الكردية، التعويضات، النفط والثروات المعدنية . الاعلام، قانون الأحزاب ووثائق أخرى) إلى أن قراءة قيادة الحزب لهذا الإجماع كانت خاطئة جملة وتفصيلاً". ففي اليوم الأخير جرى لقاء على هامش الندوة جرى فيه بحث مسألة إقامة جبهة وطنية لدعم المقاومة الوطنية العراقية الباسلة، وقد خاب ظن الكثير ممن راهنوا على فشل هكذا اجتماع محاولين دس عناصر معروفة في تاريخها المشين ، حيث لعبت دوراً في التمهيد للعدوان على العراق . وهنا لا بد من الإشارة أيضاً" إلى باكورة دعوة مؤتمر بيروت وهو البيان المشترك بين القوى الوطنية العراقية (حزب البعث العربي الاشتراكي -قيادة قطر العراق، التحالف الوطني العراقي، تجمع المثقفين العراقيين المعادين للاحتلال) . إن القوى الوطنية المعادية للاحتلال تسير باتجاه تشكيل جبهة تلتزم بأولويات المقاومة الوطنية والتي تلقن قوات الاحتلال و أذنابه ممن جاءوا على ظهر الدبابات الأمريكية دروساً لا تنسى سوف يكتبها التاريخ بأحرف من نور.

من الواضح أن الأمريكيين شعروا أن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوى يشكلان الأغلبية في ما يسمى بالجمعية الوطنية حيث ازداد الخراب والتدهور الأمني وتردي الخدمات الضرورية مثل الماء والكهرباء والنفط ومشتقاته في بلد نفطي، وازدياد البطالة في أوساط الشباب وحصر أبواب العمل فقط في الشرطة و الحرس الوطني وكذلك إلغاء البطاقة التموينية، إما الفساد الإداري فحدث ولا حرج، فتصور يا رعاك الله إن أصحاب العمائم أي أصحاب التخلف هم اصحاب القرار في دولة العراق.

وأعود إلى البلاغ حول ما جاء فيه بشأن الجمعية الوطنية . لقد أعتبر الحزب انبثاقها بعد مهزلة الانتخابات إنجازاً ديمقراطياً و هم يعرفون ما رافقها من تزوير ودعاية من المرجعية الدينية والتي من المفروض إن يكون همها الشأن الديني وليس السياسي، ومعظمهم من غير العراقيين وهم ضيوف ثقلاء على الشعب العراقي بعد تدخلهم الفظ في الانتخابات وشاركوا في الجرائم التي ارتكبت على يد قوات الاحتلال والمليشيات التابعة للقوى المتحالفة مع الاحتلال .

في حديث حميد مجيد موسى لنصير النهر -مراسل المدى أعاد فية ما جاء في البلاغ و فيما خص مسألة اجتثاث البعث- فهو يلف ويدور كعادته وهنا نذكره إن اجتثاث أي حزب علماني هو خسارة للحركة الوطنية العراقية والتي أوصى مؤسس الحزب الشيوعي العراقي (فهد) بتقويتها بقوله: قوا تنظيم حزبكم قوا تنظيم الحركة الوطنية. إن الظلاميين من الحاكمين الآن سوف يأتون لاجتثاث الحزب الشيوعي بعد أضعافه وبعد إن لا يكون من يدافع عنه وليس هذا اليوم ببعيد.

إن الشيوعيين العراقيين الوطنيين ممن لا زالوا منخرطين تحت راية هذه القيادة التي فرطت بكل الثوابت الوطنية التي تربوا عليها مطالبين بنبذ هذه القيادة والتوجه نحو تأسيس تحالف شيوعي جديد مناهض للاحتلال ويعلن طرد القيادة الحالية والتبرؤ من موافقها، لأن الشيوعيين من ذو تأسيس حزبهم كانوا وطنيين أشداء (لا كما يكتب بعض الحاقدين على الشيوعية بان الشيوعيين خونة منذ تأسيس حزبهم ؟ وأنا بدوري

اذكرهم بما قاله الأستاذ الأسير لدى قوات الاحتلال طارق عزيز في ندوة في بيت الحكمة قبل العدوان على العراق وكنت أحد المشاركين ضمن وفد التحالف الوطني العراقي بقيادة المناضل الوطني البارز الأستاذ عبد الجبار الكبيسي فيها ، فقد أثنى الأستاذ عزيز على وطنية الشيوعيين ضاربا المثل المعروف عندما صعد المشنقة ثلاثة منهم (فهد يوسف سلمان وحازم حسين الشيببي وصارم زكي بسيم) مضحين بحياتهم من أجل الوطن والشعب. وهنا يجب التمييز بين مواقف الشيوعيين الوطنيين والقيادة الحالية التي أساءت بتعاونها مع الاحتلال ومشاركتها في مجلس حكم برمير وتأبيدها لقانون إدارة الدولة والذي صاغه نوح فلدمان الصهيوني الأمريكي. وانتهد الفرصة لكي اذكر د. غالب الفريجات والذي كتب في مقالته المعنونة (سقوط اليسار المتمركس في وحل العراق) والمنشور في صحيفة المجد الأردنية بتاريخ 10 تشرين اول 2005 والتي يقول فيها (إن سقوط الحزب الشيوعي العراقي في وحل الخيانة ليس غريبا ولا ماسوفا عليه, لان الخيانة كانت تجري في عروقه منذ خطواته الاولى) أنا لا اريد ان اكرر دفاعي عن التاريخ المجيد للحزب؛ بل لدي طلب للأستاذ المذكور هو أن يراجع كتاب الأستاذ حنا بطاطو(العراق –الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية) ترجمة عفيف الرزاز، والصادر عن مؤسسة الأبحاث العربية. لقد كان الشيوعيون العراقيون هم أول من شكل عصبة مكافحة الصهيونية. وهنا أريد أن أشير إن الموقف الحالي للقيادة الرسمية للحزب فهو طارئ على الشيوعيين الوطنيين ومدان من قبلهم.